رسائل متبادلة عبر الانترنت
أحمد السعداوي والفقيد محمد الحمراني

احمد السعداوي

هذه رسائل جرت بين اديبين شابين أولاها واحداثها رسالة لم تصل من احمد السعداوي الى العزيز الذي غادرنا حديثا محمد الحمراني والباقيات رسائل تكشف عن بعض هموم الادباء الشباب ومشكلاتهم مع الحياة الخارجية وتطلعاتهم الجادة نحو حياة افضل.

الى: hamrani111@yahoo.com
سأتذكرك.. حتى وأنا احلم
؟ أحمد سعداوي
عزيزي محمد
لا اعرف كيف ستقرأ هذه الرسالة. وهل يستخدم الراحلون الى الضفة الاخرى من العالم الانترنت، ويقرأون في صحف فارغة من الكلمات، كما صورها ربيع جابر في "تقرير ميليس". هل أتيح لك الوقت الآن للتفرغ للرواية؟
كنا نشكو من عدم التفرغ، ونعلم أن هذا حلم قد لا يتحقق إلا بمغادرة هذه الحياة. ولكن، هل يسمحون هناك لأمثالنا بكتابة الرواية.. القراءة في الروايات الجميلة على الاقل؟
هل اتهمك هنا بالحماسة المفرطة، والتي لا تدع احداً يلحق بك، على حد القول المازح لبعض الاصدقاء. هل قادتك حماستك هذه لمغادرة حياتنا سريعاً.. مغادرة يأسنا؟ شوقي لصوتك قادني الى تقليب مراسلاتنا الكثيرة. تغيب اسبوعاً فترسل لي سبع رسائل. أفرغ من قراءة شيء ترسله لي، فيفاجئني الهاتف بصوتك الذي يملأه المرح. مقالات وقصص ونصوص لهذا وذاك، ترجمات، نبعثها لبعضنا عبر الايميل. لا اعرف أني قمت بذلك مع أحد غيرك، ولا ادري لمن سأبعث بمقالة او قصة جميلة، حوار يجرى مع كاتب ما، حين اعثر عليها؟ كنت تجيب حين يسألك صديقنا قاسم محمد عباس عن فحوى نقاشاتنا الطويلة، بأننا تحاورنا تواً حول القصة التنزانية وتأثيرها في الادب التايلندي، للمزاح طبعاً، فما من شيء كان خارج فضولنا، فضولك أنت بكل تأكيد.
أقلب في رسائلك، ويمزقني هذا الالم، الذي غدا وصوتك صنوان بالنسبة لي، منذ ذلك الفجر الذي نقل نبأ مغادرتك عالم الاحياء. تقول بأنك تتذكرني حتى وانت تحلم. ماذا سأقول أنا غير هذا الكلام ايضاً، ايها الانساني. سأدعك تنام بسلام، وأستأذنك في نشر هذه الرسائل الاربعة منك.
قبلاتي لك
احمد سعداوي
بغداد ٣٠-١١-٠٧

رسالة (١)
Mon, 19 Dec 2005 01:06:35
From: hamrani111@yahoo.com

العزيز سعداوي
شكرا لرسالتك الجميلة والحميمية
مشتاق اليك
وربما أتي يوم الخميس القادم الى بغداد وساتصل بك لنلتقي في شارع المتنبي
واتمنى ان يكون ناظم وضياء معك لنعيد بعض الامجاد القديمة
استمر ياصديقي في كتابة روايتك
فانا عهدي بك عنيد
وانا متفائل بانك في النهاية ستنتصر على شخصياتك
وصلتني رسالة من المترجمة ياسمين حنتوش وهي استاذه في جامعة مشيغان وطلبت فيها روايتي وانا من جانبي بعثتها لها مع بعض ما كتب عنها
اما اخباري السيئة فهي تتلخص بالكارثة التي حلت بي حين انطفىء التيار الكهربائي
وانمسح كل ما كتبته في الرواية بعد الفصل الذي قراءته انت
وها انا اعيد الكتابة من جديد
واحلم في شراء(يو بي اس)
اتمنى ان نلتقي يوم الجمعة القادم في شارع المتنبي
اخوك دائما
محمد الحمراني

رسالة (٢)
Sun, 19 Mar 2006 05:24:50
From: hamrani111@yahoo.com

Subject: Re: مني انا
العزيز سعداوي انا بخير ولازلت اكتب روايتي
رغم ظلم الكهرباء واحباطاتها
كذلك اعدت صياغة بعض المفاصل في قصتي التي قراتها وساشارك بها في جائزة عزيز السيد جاسم وادعوك للمشاركة ايضا
اما بخصوص الجات لازلت متخلفا علما بانه يحتاج الى وقت وانا مشغول بعملي في الجريدة والرواية وكذلك عملي في التاكسي وبعض الوقت امضيه مع الأصدقاء في العمارة خاصة في الليل حيث نسهر في الكازينو الى الساعة العاشرة ليلا طبعا بموافقة فاطمة التي تسلم عليك كثيرا.
تحياتي للعائلة حمراني

رسالة (٣)
Thu, 2 Mar 2006 07:58:34
From: hamrani111@yahoo.com

العزيز سعداوي
محبتي لك
وشكرا على رسالتك
ربما اتي الى بغداد يوم السبت او بعده بيوم او يومين
ماهي اخبار بغداد الامنية
(خو ما بعدهه هوسه)
انا مثلك اعيش في ضجر و استرق بعض الاوقات لاكتب واتعارك في المواقع الثقافية
اهتم بروايتك مثلما افعل انا الآن
ربما ساشارك في جائزة الشارقة برواية خاصة وانها اعلنت قبل ايام
تحياتي لك وتواصل معي
كل ما دخلت الى الانترنت
حبي
حمراني

رسالة (٤)
Wed, 22 Feb 2006 08:08:59
From:
<hamrani111@yahoo.com
Subject: Re: من السعداوي
رسالة غزلية
صديقي الامهر سعداوي
شكرا على رسالتك
التي حتما ستعطيني (دفعة)
الى ان اكون مغامرا واكتب عن تجارب اصدقائي الرائعة
اتذكرك دائما حتى وانا احلم
تسير معي انت والكلمات
لقد تعلمت منك ياأحمد اشياء كثيرة
واكثر ما تعلمته منك
هي الانسانية المفرطة
احبك
محمد الحمراني
ميزوبوتاميا

الضلع.. تجربة حميد العقابي الروائية الثانية

حسين السكاف

بعد سيرته " أصغي إلى رمادي " الصادرة عام ٢٠٠٢، التي أمتازت بالجرأة والأسلوب النثري ذات اللغة الشعرية الواضحة، صدرت مؤخراً للشاعر والكاتب العراقي حميد العقابي عن دار الجمل رواية " الضلع ". تتناول الرواية الشخصية العراقية التي تعودت البوح بأمنية شائكة المفهوم واضحة الدوافع (أريد موتاً مقنعاً) عبارة لا تخلو من القسوة والإحباط، يقين بموت مبكر، ولكن، أليس من حق من تيقن موته المبكر أن يجد المبرر لموته؟ موت دون جناية، دون ذنب، من غير خطيئة، هل يموت من لم يعرف في حياته سوى الكبت الجنسي ووأد الأمنيات؟ (الوطن في خطر، الأمة في خطر، الطبقة العاملة في خطر، القضية في خطر ...، ولكن لا أحد يقول (الإنسان في خطر) وكأن كل الأشياء والأفكار تحولت إلى صخور وما على سيزيف إلا الطاعة وحملها دون اعتراض على مشيئة الإله المجهول. " ص ٣٩٢) من الواضح أن حميد العقابي أراد من رواية " الضلع " أن تكون امتداداً لسيرته الذاتية " أصغي إلى رمادي " أو جزءها الثاني، تماماً كما جاء في آخر جملة من الرواية على لسان بطلها وهو يقرأ في أوراق صديقه المفترض " عاشور " الذي مات منتحراً (فجأة لفت نظري أسفل الصفحة الأولى سطر مطموس لم يظهر منه أي حرف، حيث يبدو أن عاشور قد كتبه ثم ندم فانهال عليه بالشطب كي يخفي سره تماماً. استبد بي فضول لمعرفة ما يخفي السطر المشطوب، فخطرت لي فكرة أن أقلب الصفحة وأعرضها أمام المرآة، عندها بدت لي الحروف المطموسة مقلوبة، وشيئاً فشيئاً بدأت تظهر أمامي بوضوح، فقرأتها بصوت عال: " أصغي إلى رمادي
-الجزء الثاني "
ص٥٠٦) لكن رواية الضلع في حقيقتها أعمق من أن تكون سيرة ذاتية لفرد عراقي أو لحميد العقابي شخصياً، إنها سيرة " ظاهرية " لخفايا روح قلقة لم تعرف ثبات الأمنية يوماً ما، الأمنيات تتناقص وتتضاءل حتى تنعدم تحت ضربات الواقع المؤلم لتصل نهايتها حيث اللجوء إلى دفء التخيلات حين تعتلي أعضاء تلك الروح دبابة الحرب، وتستحضر مخيلتها أجساد عارية بنهود نافرة، لتعيش لحظة تعويضها خيبة الانكسار.
من حيث التوصيف الزمني فإن الرواية تتحدث عن جيل الخمسينيات والستينيات -المولود أواخر خمسينيات حتى أواسط ستينيات القرن المنصرم - جيل تعس ينقصه الحظ ولا ينقصه الأمل والأحلام والتطلعات ولكن، كيف عاش هذا الجيل؟ الإجابة على هذا السؤال جاءت بها الرواية كالتالي: (ولدت يوم مجزرة سجن الكوت، وختنت يوم السحل المريع، ودخلت المدرسة عام مجيء الحرس القومي واغتلمت يوم عودة البعثيين إلى الحكم، وعشقت امرأة يوم بدء الحرب العراقية الإيرانية، فبربك قل لي من أكثر شؤماً أنا أم طويس؟ " ص٣٦٢) فالرواية مبنية بتوازن واضح على فكرتي الكبت الجنسي من جهة وكبت الأمنيات وموت الأحلام والتطلعات من جهة أخرى عند جيل عراقي بعينه، جيل الخيبات والحروب. بطل الرواية لم يسبق له أن التقى بامرأة في حياته، والسبب يعزى إلى وضع العراق الخاص، فقد سبق لبطل الرواية أن انتمى إلى حزب غير حزب السلطة وسجن ثم هرب من العراق ليعود إليه مقاتلاً ثم يصل إلى إيران ومن ثم سوريا ومن بعدها إلى الدنمارك، وفي كل تلك المراحل لم يتسن له الالتقاء بامرأة -الالتقاء الجسدي - فحين وصل إلى الدنمارك، كان محطماً، مريضاً يعاني من الشيزوفرينيا. من هنا ربط حميد العقابي جميع شخوص روايته بحبل الكبت الجنسي وتأثير ذلك الكبت، حتى تدخل في مخيلتهم الاستمنائية، فبطل الرواية ظل مطارداً طوال أحداث الرواية من قبل شبحين، شبح الكبت الجنسي كحالة جسدية وشبح الموت الذي طارده في أغلب مراحل حياته، لذا نجده في كل خلوة ذاتية يتجه بتفكيره حتماً إما صوب الجنس أو الموت، وهذا ما دفع به إلى أن يتخيل نفسه وضاح اليمن فيهيم حباً ب " أم البنين، زوجة الوليد بن عبد الملك " وتهيم به، وما ورود قصة وضاح اليمن بشكلها المتخيل من قبل بطل الرواية إلاّ لتعزيز فكرتي الموت والجنس داخل تلك الروح القلقة. ثم تأخذه مخيلته وعلى الرغم من مرضه الخطير حيث يرقد في المستشفى بسبب مرض القلب وتحت تأثير المخدر وملازمة الشبح، يتخيل نفسه الإله تموز والطبيبة هي عشتار، من هنا نجد أن حميد العقابي أراد القول بأن الجيل الذي ينتمي إليه ليس له علاقة بالزمن ومن حقه أن يتصور نفسه وضاح اليمن أو تموز أو أي شخصية أخرى المهم أن يجد إشباعاً لمخيلته الاستمنائية، فالكثير من أبناء جيله مات في الحروب وهو لم يلتق بامرأة، بل حتى لم يكلم امرأة في حياته عن الحب أو المشاعر والأمنيات.

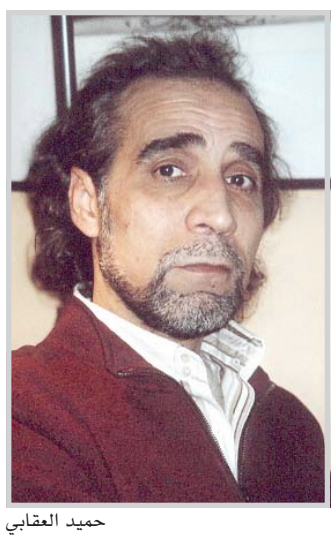
حميد العقابي

الذات الأخرى الكامنة داخل الروح البشرية وتناقضاتها وصراعها مع الذات الظاهرة أخذت حيزاً كبيراً وأساسياً من سرد أحداث الرواية. الوعي الآخر مقموع نتيجة قوالب تربوية تربى عليها العراقي " جبر " -تسمية شائعة يستخدمها العراقيون للدلالة على كم الحيف الذي نزل على رؤوسهم " جبر من بطن أمه للقبر " -في حين أن الذات الظاهرة تمارس حياتها اليومية بزيف وتظاهر لا يترجم ما يعتمر داخلها، من هنا نجد أن الطريقة التي استخدمها الكاتب في فصل الذات الظاهرة (حميد) عن الذات الكامنة داخلها (عاشور) حين شطر الكاتب نفسه إلى شخصيتين، أخرج من داخل روحه ذلك الجزء النزق والمتعالي رغم خوائه، الجزء المتضارب بنزواته وأفكاره السياسية والروحية، ليصحبه إلى جانبه وهو يخوض عالم التخيلات. صوره إنساناً وأطلق عليه اسم عاشور، اسم مستعار لشخصية مستعارة، شخصية ليس لها علاقة بالواقع سوى أنها كانت تعيش داخل روح الراوي ليعزز لنا حالة الشيزوفرينا التي يعانيها. صارا يتبادلان الأفكار ويوجهان النقد لبعضهما والذي يصل حد القطيعة والخصام أحياناً، ثم نجد أن هناك بعض الاعترافات التي يبوح بها أحدهم للآخر وهي تترجم ذلك الصراع المرير داخل الروح الشرقية والتي يمثل الكبت الجنسي أحد أعمدتها، فيعترف عاشور لحميد بأنه تجاوز الثلاثين ولم يمارس الجنس بشكله الحقيقي، كان يستهلك خياله للممارسة فيستحضر النساء كما يشتهي.

وتستمر الصراعات والأحاديث والانتقادات اللاذعة بين روح الراوي وداخله الخفي حتى إعلان موت عاشور منتحراً دون العثور على جثته رغم اقتحام الشرطة الدنماركية لشقته. يختفي عاشور من بين سطور الرواية حين تلفظه روح الراوي كقيح مرض مزمن، ولكنه يبقى عالقاً في ذاكرته حتى سطور الرواية الأخيرة.
يسلك حميد العقابي من خلال روايته " الضلع " طريقاً مختلفاً عن الطرق التجريبية والكلاسيكية التي عرفناها في كتابة الرواية، فالمعروف عن العقابي أنه شاعر ينتمي إلى الجيل الثمانيني، وله ستة دواوين مطبوعة كان أولها " أقول احترس أيها الليلك " الصادر عام ١٩٨٦ وآخرها ديوان " الفادن " الصادر عام ٢٠٠٥، من هنا نجد أن اللغة التي صيغت بها أحداث الرواية، لغة شعرية بامتياز حتى في حالات السرد التي ظهرت بشكل واضح في جزء الرواية الثاني (الرماد) الذي يؤرخ فترة مهمة من تاريخ الصراع الداخلي للإنسان العراقي البسيط، الشاب المتلهف للحياة بأمنيات عظام، أكبرها تافه جداً .. الجنس .. القميص .. الحبيبة. ففي جزء (الرماد) يجد القارئ أن الكاتب قد استخدم " الخيال الشخصي " ليقتل فكرة طالما أقلقته أو يحقق أمنية مستعصية عن التحقيق. فمن الطبيعي أن نتلمس لدى الشخص الذي يعاني كل تلك الصراعات والتناقضات، عداء شرساً لكل شيء، فيجد قارئ الرواية أن روح بطلها تعتمر عداء مختلف الجوانب والأشكال، عداء للوطن، للقيم، للأحزاب، للعائلة، للأخت والأم والصديق، للحياة والدين، عداء لكل شيء، وهذا ما يذكرنا بكتابات الكاتب الإنجليزي جورج أورويل الذي أتهم بعدائه للماركسية والشيوعية والنضال من أجل الحرية، في حين أن الحقيقة تفيد بأنه لم يكن في أي وقت من الأوقات معادياً إلى تلك الأفكار، وهذا تماماً ما ينطبق على مجمل الأفكار والانتقادات التي جاءت بها رواية الضلع لحميد العقابي.
الكوارث والحروب والأخطاء التي تدور في بلداننا وندور نحن بفلكها، ومهما كانت دوافعها أو حجج مفتعليها، هي بالتالي نقمة كارثية تقع على كاهل الفرد البسيط، الإنسان الذي يسير كماء النهر دون التفكير بتغيير مجراه .. الإنسان البسيط هو الذي وضع الحياة وصنعها، لا الحكام، وبالتالي فإن تحطيم ذلك الإنسان هو تحطيم للحياة. من هنا نجد أن رواية " الضلع " قد طرحت أسئلة مهمة كثيراً ما دارت في تفكير البسطاء دون حلول. (هل يشعر الإنسان بالضياع حينما يغور في ذاته أم حينما يخرج منها؟). (هل المنفى مكان أم لا مكان؟). (هل المنفى زمان؟). (هل لهاجس الجنس علاقة كبيرة بالشعور بالضياع؟).
الغربة التي تنخر الروح، المنفى، البرد، الخواء، اللاشيء، كل هذا لم يكتف به كاتب الرواية فراح يضيف عليها غربة أشد وطئة بهدف إظهار العمق الحقيقي لغربة العراقي بغض النظر عن المكان إن كان داخل الوطن أم خارجه (وغربة أشد بين أبناء جلدتك الذين كلما هربت منهم تلاحقك سحناتهم ولغتهم ومناطيد دخانهم التي تسد عليك آفاق انطلاقك، وكلما ارتفعت سنتمتراً واحداً في فضاء سموك تناخت الأذرع وهي تشدك إلى تحت حتى تغور بك في وحل زمنها أو تركن لأقدارك كسولاً مثل جاموس يتلذذ برطوبة الوحل هرباً من هجير شمس حارقة. " ص ٤٥٤).
هكذا تصور رواية الضلع للشاعر والكاتب العراقي حميد العقابي، حالة العراقي الذي عاش يوميات تكوين شخصيته الفتية نهاية سبعينيات القرن المنصرم، والذي وجد نفسه وهو ما يزال يتخطى مرحلة المراهقة ليدخل عالم الشباب والرجولة، وجهاً لوجه أمام أتون الحرب، صار متيقناً من أنه أصبح مشروع موت مبكر، وحين تيقن حقيقة ذلك الشعور، صار يبحث عن سبب مقنع يبرر موته، هذا السؤال الشائك ظل مطروحاً من قبل ذلك الجيل العراقي التعس حظاً والأجيال التي تلته حتى يومنا هذا.

أسم يسميني

أحمد مشتت

احط على الأرض بعد هيام طويل
وجهي الف وجه
ولساني تائه في اللغة
اسمي يستسلم لعاداته القديمة
و يسترسل في النسيان
وحيدا يهجرني بين الاسماء
وبينما يفضح اسراري في الحانة ثملا
اتسمر في العراء مجهول الكيان
(لستَ انت) قال لي
وحز عنقي بسكينه الباردة
ولستَ ذاك الصبي الخجول حين يرد ذكر النساء
ولستَ المهاجر
اذ ان المنفى وطن للغريب
وقصدتُ انني صباح مقتول
على كف عمتي
تستعيده على بوابة السجن
في معطف ابي العليل
وحين تفز الخيول في سهوب المساء
ولعا بالهروب
خانتني الحقائب مرة اخرى
والمسافات التي عذبتني مسافاتها
ومدينة كنت امررها خلسة في جواز السفر
قد تنتحب
لو عدت مكسور الفؤاد
او تكتفي بالضجر
خاسر اطرق الابواب بلا طائل
بيني و بينها
العبارات التي تقطعت
حين مرت فوق ظلي الطائرات
انا الجندي المكلف بالموت
اتسمر خلفها
وتستميت خلفي في طابور الجوع
منهكة تنسى
مصيري تحت سرفات العربات المدججة بالحزن
وتعلن الحداد رأفة بالقتلة
هكذا أحط على الارض
ابحث في الاسماء منهمكا بما قد يجئ
او تاخر
لأرى حين اهدأ وجها واحدا
واصغي حين تهدر الكائنات بالعويل
لأسم يسميني
حتى لو قال لي لست انت
اسم للمدينة المنكفئة
اسم للحجر
اتمرد على تاريخه المسلوب
اسم للحب يفتح نافذة للممكن
اسم للزمان الذي ترهل عند حدود الأمس
اسم لهواي وانا اصدق ان الربيع المستحيل هنا
في المسافات التي عذبتني مسافاتها
خائف من الفرح كعادتي
اتعثر تحت راية يوم مقتول
في قميصي جبال منسية
وامهات عدن من الحرب تواً
خائف من عشبة رقدت قرب دمي
خائف من دمي راقدا
على العشب في صباح مهشم يستغيث بي
قدمي مازالت في خندق موحل
ووجهي القديم لايستسيغ نسيم الشظايا
ولما قصدت العدول عن الموت انا الجندي المكلف
تعذر علي الوصول
كان صباحا مقتولاً في كف عمتي